كما في الجراحة والادارة كذلك في السياسة
الدكتور كمال بخعازي: امّا أبيض وامّا أسود!

كتبت لارا سعد مراد

صاحب احلام كبيرة وايمان اكبر. راحة الضمير مبدأ ثابت لديه و «يا أبيض يا أسود» شعاره الدائم. الطب ميدانه والحياة معركته الدائمة. لا يساوم على الخطأ ولا يسكن برجا عاجيا عاليا بل مع الناس. لا يضع تاريخه الحافل بالانجازات حاجزا بينه وبين الآخرين بل جسر عبور نحوهم. وقّع بصمات مضيئة في حقل الطبّ بأحرف من نور وعلى طريقة «السهل الممتنع» لا تفصلك عنه واجهة من البروتوكولات بل يقربك منه بروتوكوله الأوحد: بسمة وتواضع لا يعترفان بالرسميات بل ببديهية اللقاء بين الانسان وأخيه الانسان...

انه الدكتور كمال بخعازي الطبيب الجراح ومالك مستشفى الدكتور فؤاد خوري في بيروت وما تفرّع عنه لاحقا.

ولد الدكتور كمال جبران بخعازي في رأس بيروت عام ١٩٣٦. درس الطب وتخصص في الجراحة العامة في الجامعة الاميركية في بيروت وتخرج عام ١٩٦٧ وسافر الى الولايات المتحدة ليعود عام ١٩٧٠ بشهادة تخصص في جراحة الأمراض السرطانية من مركز «ميموريال» الطبي في نيويورك. وينضم الى أسرة مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت كجراح وأستاذ جراحة الى العام ٢٠٠٤

مستشفى فؤاد خوري

ولمستشفى فؤاد خوري التي يملكها اليوم قصة يختصرها الدكتور بخعازي بأنها بدأت عام ١٩٧٥ ابان الحرب حين قرر مؤسسها الدكتور فؤاد خوري التقاعد فأقفلها ليستقر في باريس. وكان آنذاك مستشفى الجامعة الأميركية قد تحوّل الى مستشفى عسكري يغصّ بالجرحى والمصابين. فاتصل الدكتور بخعازي بزميله الدكتور خوري عارضا اعادة فتح المستشفى. فقرر الأخير البيع لأسباب تجارية فاشتراه الدكتور بخعازي مع ٢٠ شريكا من أطباء الجامعة الأميركية بالاضافة الى مسؤولة الممرضات آنذاك عائشة تميم وفتح المستشفى أبوابه وبدأ العمل حتى العام ١٩٨٤ حين قرر معظم الشركاء اما البيع واما التقاعد واما الهجرة في ظل الأوضاع الأمنية السيئة. فاستلم الدكتور بخعازي المستشفى كادارة حرة وخلال ١٠ سنوات أصبح المالك الوحيد للمستشفى ومديره قبل أن تستلم ابنته المتخصصة بادارة المستشفيات ريما بخعازي عازار الادارة المالية ويتفرّغ هو للطب ممارسة وادارة طبية. وفي العام ٢٠٠٥ وقع عقد تفاهم مع مالك عقار المستشفى لاستثمار العقار مدة ٣٠ سنة. ومنذ اعادة فتح المستشفى عمل الدكتور بخعازي على التطوير للنهوض به نحو مستويات التصنيف العالمية. وقد تم منذ سنتين توقيع تفاهم مع الجامعة الأميركية حول فتح مجالات تخصص في الجراحة وطب العائلة في مستشفى خوري. وهكذا يكون عمر المستشفى قد تجاوز نصف القرن ويسير الى المزيد من التقدم. وبالأخص مع تحوله ومنذ العام ٢٠٠٥ الى مجموعة شركات تحمل اسم:»بخعازي ميديكال كير» وتضم مستشفى فؤاد خوري ومركز عبد العزيز الطبي بالاضافة الى شركة «مستشفيات» التي تتعاطى المواد والمعدات الطبية. وبعد عقود من العمل الشاق خفف الدكتور بخعازي عمله في حقل الجراحة ليحصره في جراحة سرطان الثدي وتقاسم مسؤولية ادارة المستشفى مع ابنته ريما. ويشير الى التطور المهم الذي يسجل اليوم في محاربة مرض السرطان مشددا على الضرورة القصوى للفحوصات الصحية الدورية لأي انسان لأنها المفتاح الأهم للشفاء من أي مرض وبخاصة مرض السرطان الذي يصفه اليوم ب «المرض المزمن أكثر مما هو مرض قاتل». أما تصنيف السرطان كأول مرض قاتل في العالم بعد أن كان مرض القلب. فمرده الى أن الانسان بات اليوم يعيش أكثر فمعدل العمر المتوقع في العام ٢٠٥٠ هو ١٠٠ عام. وبناء عليه بدأت دول العالم بالغاء سن التقاعد المتعارف عليه وهو ٦٤ عاما والذي ابتدعته المانيا أيام بسمارك وقد كان منطقيا آنذاك كما يقول د. بخعازي لأن معدل العمر

في تلك الحقبة كان في حدود ال ٦٥ عاما...

مقتضيات تطوير العمل الاستشفائي

خلال مسيرته الادارية الطويلة وعمله في نقابة المستشفيات سعى الدكتور بخعازي الى تطوير العمل الطبي والاستشفائي ولكنه يعترف بأنه لم يصل بعد الى مبتغاه. وفي هذا الاطار يشدد على ضرورة قيام تنسيق مناطقي بين المستشفيات بمعنى تقاسم الاختصاصات في ما بينها بالاضافة الى اشتراط وجود شهادة حاجة لقيام أي مستشفى أو مركز طبي في أي منطقة من المناطق. فهذه الثغرات الكبيرة تزيد كلفة الاستشفاء ولا تعود على المستشفى بالربح لأن زيادة الاختصاصات في المستشفى تعني زيادة كلفة المعدات والصيانة والأجور وغيرها من التكاليف التي ترفع فاتورة الاستشفاء وتزيد من الظلم الذي يلحق بالمستشفيات التي تعاني أصلا من اتهامات أقلها بعدم الانسانية. ويضيف الدكتور بخعازي أن المستشفى ليس قطاعا مربحا كما يصوره بعض الناس وبخاصة في ظل تعقيدات الجهات الضامنة ومشاكل تسديد مستحقاتها للمستشفيات.

ومن ضرورات تطوير القطاع الطبي كذلك قيام تنسيق في ما يتعلق بعدد الأطباء لأن لبنان يسجل أعلى نسبة أطباء في العالم وهي طبيب لكل ٣٠٠ شخص. مما جعل ٥٠ بالمئة من أطباء لبنان لا يتقاضون أكثر من ١٠٠٠ دولار أميركي في الشهر. وفي هذا الاطار. يقترح الدكتور بخعازي انشاء مجموعات طبية بمعنى عمل عدد من الأطباء ضمن فريق واحد وهو عمل يتطلب الكثير من الشجاعة كونه يدعو الطبيب الى نبذ الأنانية كما أنه يحل مشاكل الطبيب والمريض على حد سواء على صعيد توفير الوقت والمال بالاضافة الى كل ما ينتج عن العمل الفريقي من تعاون ونجاحات وانجازات...

يعترف د. بخعازي بأن هذه الأمور لم تتحقق بعد ولكنه يتفاءل بامكان تحقيقها في المستقبل «لأن الأشياء الجيدة لا تتم الا في وقتها».

أما في ما يتعلق بالقطاع العام للاستشفاء فهو في نظره أنه كما كل شيء في لبنان يتغير أداؤه مع كل تغيير حكومي. فالدولة رغم أنها حققت الكثير الا أنها لم تستطع بعد أن تمارس دورها المطلوب بفاعلية لعدة أسباب بينها التقسيم الاداري للخدمات الطبية بين الضمان ووزارة الصحة والصناديق العسكرية وتعاونية الموظفين... ويبرز عجز الدولة أكثر مع عصف السياسة في القطاع الصحي العام مقابل النجاح الهائل الذي يحققه القطاع الخاص. فتبدو الدولة للأسف في غير حاجة لأن يهاجمها أحد لأنها تهاجم نفسها بنفسها...

أبيض وأسود

يرى الدكتور بخعازي العالم بلونين: الأبيض والأسود. ليس بالمعنى الحقيقي بل بمعنى أنه - وكما يصف نفسه - طبيب وجراح. صاحب منطق ومبدأ لا مكان عنده الا للحقيقة العلمية المجردة. اللون الرمادي للمواقف لا يعرفه والمساومة على حساب الضمير مرفوضة. هذا ما جعله يوما يقبل عضوية مجلس بلدية بيروت وهذا أيضا ما جعله يرفض قبول التجديد له في ذلك المنصب لولاية جديدة... وفي التفاصيل أنه في العام ١٩٩٨ قبل الدكتور بخعازي تعيينه عضوا في أول مجلس بلدي لبيروت بعد الحرب. وذلك اقتناعا منه بمحاولة التغيير من الداخل. ولكن ثلاث جلسات للمجلس البلدي شارك فيها كانت

كفيلة بجعله يعتذر عن قبول المشاركة في ولاية جديدة للمجلس. فقد لمس أن القرارات كانت تتخذ قبل أن يبحثها المجلس. والمحاضر كانت تبدل بسحر ساحر. فقرر ترك العمل السياسي لأنه» لم يتعلم أن يكذب على نفسه». ولأنه جراح دقيق. كل الألوان السياسية عنده مختصرة بلونين: «اما أبيض واما أسود»... أما كل الألوان الأخرى فرمادية لا تراها عين الضمير المجردة...

لم يتأثر الدكتور بخعازي سلبا بتجربته السياسية ولكنه تأثر ايجابا بأشخاص من حوله بينهم العائلة الصغيرة وعلى رأسها والدته التي شجعته على دراسة الطب. بالاضافة الى معلميه في المدرسة الذين «فهموه» وأدركوا أن لديه طاقات كبيرة رغم أنه لم يكن التلميذ المثالي! وتأثر كذلك بأطباء وأساتذة تعامل معهم لاحقا. منهم الدكتور عادل عفيفي والدكتورابر اهيم داغر والدكتور سامي عبيد وغيرهم كثيرون. كما تأثر بلقاء قديم تم بالصدفة مع روزالينا مير ممثلة الولايات المتحدة في منظمة الصحة العالمية وهي لبنانية الأصل. وقد «توسطت» له لدى مركز «ميموريال» الطبي في نيويورك ليتم قبوله للتخصص في جراحة السرطان. ليس لكونه غير مؤهّل بل لكون الطلبات بالآلاف لدى المركز مما يجعل اهمالها أمرا حتميا...

حلم اليوم واقع الغد

بنظرة من اختبر في حياته الكثير وحصد تكريمات عدة من الدولة والجمعيات. وعلى رأسها وسام الأرز من رتبة كوموندور. ينظر الدكتور بخعازي الى لبنان بتفاؤل مؤكدا أنه سيصبح عاجلا أم آجلا وطنا حرا

متحررا. حقوق الانسان فيه مصانة والعلم والطبابة للجميع. ويشير الى أن تأمين العلم والطبابة للبنانيين كاف بحد ذاته لجعلهم ينصرفون الى العطاء والابداع. وهذا الأمر ربما هو حلم اليوم ولكنه سيتحول الى حقيقة في يوم من الأيام يتمناه أن يكون قريبا...

ويهدي الدكتور بخعازي أوسمته الى تاريخه الذي شاركه فيه الكثيرون ولم يصنعه وحده. ويشكر كل من ساعده من قريب أو من بعيد. ويشكر الله الذي أنعم عليه بكل ما هو عليه اليوم.

وفي نظرة فلسفية الى الحياة. يرى الموت طبيعيا كما الولادة. ولكن الانسان يولد باكيا متألما ويموت منشرح الأسارير. مما يشير الى راحة وفرح ما. وهو ما أشارت اليه شهادات العديد ممن اختبروا تجربة مقاربة الموت أو العودة من الموت كما يسميها البعض. فكل الشهادات تتشابه لسبب ما في اختبار ذلك الشعور بالانشراح والفرح مقابل الشعور بالألم الفظيع عند العودة الى الحياة... أما توقيت الموت واختلاف طرقه وأعمار الذين يموتون. فتلك مسألة لا يحلها الا الايمان الذي يؤكد الدكتور بخعازي على أنه لم يفقده يوما على مرّ السنين والتجارب...

مركز يموت للسمع

لنستعيد نغم الحياة

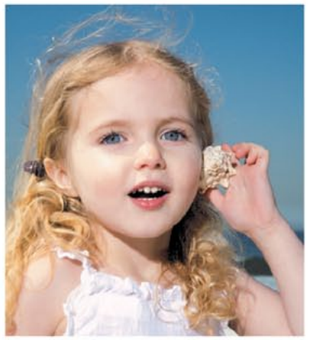

سمّاعات ديجيتال
قوالب عازلة
تصليح سمّاعات

تخطيط للسمع
ABR
OAE
VNG

سمّاعات للصيد عازلة للصوت صنعت خصّيصاً لمحبّي الصيد

Barbir: 01/662360—01/667005—03/644603 ; **Hamra**: 01/362899 - 03/040563
Saida: 07/731422 ; **Chtoura:** 08/541531 ; **Nabatiah**: 07/769720 - 03/040563
E-mail: info@yamouthearing.com ; **Web Site**: www.yamouthearing.com